تيم

عين عطا، بينهم أعضاء في الحزبين الاشتراكي والقومي، بسيارة فان بيضاء اللون تركن في بقعة بعيدة عن أعين حاجز الجيش اللبناني على مفترق شبعا ـ عين عطا ـ الكفير، وتقف على الطريق الذي يخترق «وادي جنعم» في جبل الشيخ بين عين عطا وشبعا. عمد الشبان إلى مطاردة سيارة الفان حتى نقطة الجيش، وحصل إطلاق للنار بعد محاولة الفان الفرار، قتل على أثره راكب وأصيب اثنان آخران. وتبين أن اللبناني مصطفى ع. مواليد بلدة الرفيد في راشيا، يعمل في سياق مهنته كمهرب، على مساعدة السوريين في الدخول خلسة إلى الأراضي اللبنانية. وقد أوقفه الجيش إلى جانب ركاب الفان وسائقه اللبناني أيضاً، وهو من أبناء بلدة البيرة، ليتبين من التحقيقات أن المهرب يرافق السوريين من بلدة بيت جن، ويسير بهم في مسارب جبل الشيخ بعيداً عن عيون نقاط الجيش، وكان الفان بانتظارهم. وتبيّن أيضاً أن الموقوفين ينتمون إلى كتائب في «الجيش الحر»، منها «لواء شهداء دروشة» الذي يرأسه المدعو حسين غازي محمد، و«لواء مقداد العمر» الذي يرأسه عمار البيش، و«كتيبة أحرار داريا»، و«كتيبة بيت المقدس» التي تعمل في ريف دمشق ويرأسها المدعو حذيفة أبو حاتم، بالإضافة إلى جندي فار من «الكتيبة 1033» في الجيش السوري المرابطة في مطار الضبعة قرب مدينة القصير.

وقالت مصادر أمنية لـ«الأخبار» إن الموقوفين، بالإضافة إلى الجريحين اللذين نقلا إلى مستشفى فرحات في كامد اللوز، «لم يدخلوا لبنان لتنفيذ أعمال إرهابية، بل لزيارة أسرهم، ومن ثمّ العودة إلى القتال في سوريا». وأضافت: «إن استخبارات الجيش اللبناني كانت على علم بعملية التهريب، وهي نصبت كميناً محكماً للفان، قبل أن يتدخل الشبان». مع الإشارة إلى أن المهرب اضطر أخيراً إلى استخدام طريق بيت جن ـ عين عطا بدلاً من شبعا بسبب الموقف الأخير لأهالي وفعاليات وبلدية شبعا، برفض دخول أي نازح جديد، وقد طُلب من عبد الله عدم دخول البلدة.

فوضى السلاح الأهلي

قد يكون حمل أبناء القرى السلاح إلى جانب الأجهزة الرسمية مبرراً، وخصوصاً أن المساحات الحدودية ومسارب التهريب تمتد إلى مسافات طويلة وتحتاج إلى عديد كبير من القوى الأمنية لمنع التهرب. وتعاظم القلق بعد أحداث عرسال. وسبّب التوتر مشكلات غير مقصودة، مثل حادث بلدة كفرقوق قبل أسبوعين، حيث تقابل مسلحون يناصرون النائب السابق فيصل الداوود ومسلحون اشتراكيون، ظنّاً منهم أن المجموعة المقابلة هي من المسلحين السوريين، وليس انتهاء بحادثة عين عطا.

لكن القلق الأكبر يتعلق بفوضى عمل هذه المجموعات اللبنانية، وتحذر مصادر رسمية من أن طريقة عمل هذه المجموعات قد تعرقل عمل الأجهزة الأمنية، فيما يُفترض أن لجان القرى تقف خلف الأجهزة الأمنية اللبنانية عبر التنسيق الدائم مع البلديات.

لكن «موضة» الأمن الذاتي آخذة في الاتساع، ولم تعد حكراً على فريق سياسي عند القوى الدرزية، إذ يسير الحزب الديموقراطي اللبناني بزعامة طلال ارسلان، وأنصار الوزير وئام وهاب على الخطى ذاتها. وبمعزل عن تجارب يعتبرها البعض مقبولة في منطقة حاصبيا لجهة التنسيق الكامل مع الأجهزة الأمنية، إلّا أن ما حصل في عين عطا، ينذر بمشكلة، ما يدفع الأهالي إلى طلب حصر المسؤولية في يد الدولة اللبنانية وأجهزتها، وتنظيم أي عمل شعبي ضمن إطار رسمي، وخصوصاً عبر البلديات.

ويقول وكيل داخلية راشيا في الحزب الاشتراكي رباح القاضي إن «الحزب يقف خلف الأجهزة الأمنية، والفوضى غير مقبولة». بدوره يؤكّد المنفذ العام للحزب القومي في راشيا زياد جمال، الأمر نفسه، مشيراً إلى أن «الأمن من مسؤولية القوى الرسمية، والأحزاب والأهالي خلف الجيش اللبناني». أما رئيس بلدية عين عطا، طليع خضر، فيشدد على التنسيق الكامل مع الجيش، طالباً من قيادته «نشر قوات أكبر في المنطقة بسبب وجود حالات تهريب عديدة، وهناك توتر جراء الخوف».

تمدد الفتنة

إلا أن المخاوف لا تقتصر على ما يأتي من الحدود مع سوريا، بل على الانعكاسات المحتملة مع قرى لبنانية تحتضن المسلحين السوريين أو تقدم الدعم والعون لهم. وقد برزت إشارات استياء لدى حلفاء تيار «المستقبل»، ولا سيما الحزب الاشتراكي، ما دفع فرع استخبارات الجيش في المنطقة إلى العمل مع اتحاد بلديات جبل الشيخ، لتخفيف التوتر، وخصوصاً في بلدة الرفيد. وقد شاركت الجماعة الإسلامية مع تيار المستقبل في الاتصالات لحصر الأمر ضمن دوائر فردية، وترك المعالجات الأمنية للقوى الأمنية الرسمية.

يشار إلى أن الأقطاب السياسيين في العاصمة، قد باشروا قبل نحو ثلاثة أشهر باتصالات شملت النائبين وليد جنبلاط وطلال أرسلان، والرئيسين سعد الحريري وفؤاد السنيورة، إلى جانب قيادات أمنية ورجال دين، هدفت إلى منع تمدد مناخات الفتنة ذات الخلفية الطائفية الموجودة على الحدود السورية. وذلك ربطاً بكون المقاتلين ينتمون إلى تنظيمات إسلامية متشددة، بينما يتركز الوجود الدرزي في القرى المقابلة لبنانياً.

كلام في السياسة

المسيحيون بين التسلح والتغرب والتقسيم... من ينتخبون؟

جان عزيز

قبل أيام، استخدم أحد السياسيين ـ من الذين يفكرون، أي من هذا الجنس النادر المهدد بالانقراض ـ عبارة «الاعتلال السني»، لتوصيف بعض من واقع الحال في لبنان والمنطقة وبعض العالم. عبارة تدفعك أناقتها إلى قلب اتجاهها وعكسها واستدخالها ذاتياً، بحيث تسأل: وماذا عن الاعتلال المسيحي الأخطر ربما، أقله لبنانياً؟ صحيح أن كل البيئات اللبنانية مأزومة. كلها معتلة، حتى في علل وجودها، وفي علة وجودها معاً، وفي علة وجود الوطن. في الشارع، وفي الوسط الشبابي خصوصاً، ومن كل الجماعات اللبنانية، تسمع هواجس جدية دقيقة وعميقة. تجعلك تتساءل: كيف لأصحاب معاناة إنسانية كهذه، أن ينتجوا طبقات سياسية تافهة وسطحية كتلك؟ أو كيف لمن تُختزل كل ثقافتهم السياسية والعامة، بعدد «لايكات» مشتراة على صورة مجملة في مجتمع «الفسابكة»، أن يمثلوا شاباً واحداً من مستبطني تلك الهواجس الوجودية الجدية؟ هل هي سكيزوفيرنيا الناس أينما كان؟ أم هو النظام السياسي المقفل والموصد على أي تغيير، رغم نفقه ونفاقه وتكلسه؟ أم هو عامل المال السياسي الذي عقم كل فكر في الحياة السياسية اللبنانية؟!

في ضوء التساؤلات تلك، تدفعك مفردة «الاعتلال» إلى البحث في الذات المسيحية، وإن باقتضاب، وإن بمجرد سرد أمثلة ونماذج. قبل أيام، كان مسؤولو أحد الأحزاب المسيحية الحليفة للسنية السياسية في اجتماع مع رئيسهم، وكان الأخير يكرر على أدمغتهم نظرية أن «داعش» فزاعة فارسية ـ أسدية جديدة. «راجح» حزبللاهي ـ عوني جديد، يخدم الحبكة المسرحية نفسها، ضمن ثنائية الحرامي الظريف والمختار الساذج. طلب أحد حزبييه البقاعيين الكلام، ليعلن رفضه نظرية رئيسه برمتها. بكل بساطة، قال له ولرفاقه، نحن رأينا «داعش» في محاذاة بيوتنا وقرانا. وقد قررنا حمل السلاح مع أبناء بلداتنا وجوارها، من كل الاتجاهات السياسية والمذهبية، كي لا نذبح على أرضنا... إنه نموذج أول من نماذج الاعتلال المسيحي الخطير.

حلقات السهر الفاخر متقلصة هذه الأيام، يتجمع روادها مثل آخر فسحات الماء في صحراء مجدبة. هناك ترى مجتمعاً صغيراً مغلقاً لا يشبه ما حوله. كأنه مُسقط من كوكب آخر على آخر أحياء «الموندانيتي» في الوطن المدقع. سيدات وجواهر وأموال وأثرياء وسيارات ورقص... وكلام عن «معه حق لوران فابيوس. لماذا لا يرحل مسيحيو العراق إلى فرنسا؟! أليس أفضل لهم من ذلك الجحيم الذي باتوا فيه؟!». عبارة تشي بموقف لبناني أكثر مما هو عراقي. ثمة «مجتمع» فرنسي أو غربي خاص، يعيش في قلب الجماعة المسيحية في لبنان، أو يعيش في لبنان، كمكان لا غير، كمجرد «موقع» لكبسة «تشيك إن» (check in) أو «آد إي لوكايشن» (Add a location)، على حسابات الفسابكة أنفسهم، فيما الحسابات المصرفية غرباً، والحسابات الحياتية المستقبلية هناك أيضاً، مع الجنسيات المكتسبة منذ عقود، أباً عن جد، ولو كانا من أبطال الاستقلال. ثمة «مجتمع» من المسيحيين يعيشون في لبنان على رؤوس أقدامهم وحسب. كما برؤوس أقدامهم الراقصة في تلك السهرات الأخيرة في آخر زوايا لبنانهم المتغرب. جاهزون أبداً للتسلل من كذبة الوطن، كما من نهاية سهرة أو بداية واحدة فاشلة. متأهبون للسفر، لهجرة نهائية، لعودة إلى مصادر وحي لبنانهم الذي كان، على ضفاف «الشان» وبعيداً عن هموم بيروت وهواجس مشروع أفلس ورئيس ـ سنديك تفليسة. أما المفارقة المضحكة، أن بين هؤلاء المتغربين غالبية ساحقة من الطبقة السياسية الحاكمة في زمن المارونية السياسية، أبناء رؤساء ووزراء ونواب وبيوتات سياسية كاملة. طريف أن يتم إحصاؤهم: من منهم هنا ومن منهم هناك ومن هنا ـ هناك، يعيش في حقيبة السفر وهويته «بورديغ باس»؟!... نموذج ثان لاعتلال ثابت.

في أوساط بعض المسيحيين المعنيين حديثاً بالشأنين السياسي والعام، إعادة قراءة ونظرة استقصائية إلى خريطة لبنان المتفجرة والملتهبة هذه الأيام. يقولون: هل هي مصادفة أن كل المناطق المحتربة هي تلك التي لم تكن ضمن لبنان المتصرفية؟ ما هو هذا السر الغريب الذي جعل الحروب الراهنة تقع ضمن حدود «الأقضية الأربعة»؟ كأن مئة عام من تاريخ لبنان الكبير لم تغير «سوريتها»؟ أو كأن لبنان الصغير ظل خارجاً عن وعيها ووجدانها، رغم قرن ـ يكتمل بعد أعوام ـ من تكاذب العيش المشترك وأسطورة الميثاق وكل مفردات المعزوفة. هل هي الجغرافيا السياسية، أم الديموغرافيا السياسية، أم الجغرا ـ ديموغرافيا الدينية، الأفعل من أي مفهوم مجتمعي آخر، في هذا الثقب الأسود من كوكب الأرض، المعمد باسم حروب الآلهة؟ ماذا لو كان روبرت دوكيه على حق، يسألون، وهم يراقبون حروب الشمال وطرابلس الشام والبقاع، وأخيراً راشيا؟ ودوكيه هو الفرنسي المنسوب إليه قوله لسيد بكركي يومها: «كنت كبيراً في لبنان الصغير، وستتحول صغيراً في لبنان الكبير». ماذا لو كان البطريرك الحويك نفسه على خطأ، يرددون. فالبطريرك في النهاية إنسان، وكل إنسان غير معصوم... اعتلال ثالث يحفر في العدم المسيحي هذه الأيام.

في بعض حلقات ما تبقى من طبقة وسطى، عاشت حلم الدولة اللبنانية وزمن غرامة «الزمور» وضبط مخالفة عبور الشارع خارج مسامير ممر المشاة، ثمة كلام عن «نريد أن نعيش وحدنا. نريد لامركزية، فدرالية، كانتوناً أو دولة لا فرق ... المهم نريد أن نعيش في ظل سلطة ندفع لها ضرائبنا إرادياً، ونقف أمام شرطي سيرها باحترام، ونسدد فواتير كهربائها ومائها وماليتها وبلدياتها قبل تعاميم المطالبة. ونحترم فيها القوانين ولا نقيم العشوائيات العمرانية ولا نحتل الملك العام ولا نستبيح المشاعات ولا نجتاح البيئة ولا ولا ولا ...». اعتلال رابع يقارب العنصرية المكشوفة، إذا ما كانت في ما سبق مستورة.

عوارض خطيرة، وإن كامنة أو مكتومة، لاعتلال مسيحي كارثي. يزيده اعتلالاً وخطراً كل ما يحصل في البلاد وحولها، من عرسال إلى عنكاوة. فيما لم يسمع من صوب «الشريك» إلا صوت بليغ وحيد أطلقه محمد السماك. الآخرون في غياب. والمسيحيون في غيبوبة. كل عوارضهم أمراض تعادل اعتلالهم خطورة وتفاقمه. من يغير هذا المناخ الانتحاري العدمي الكارثي المأسوي؟ هنري حلو؟ روبير غانم؟ بشارة أبي يونس، أنطوان الريف، كميل الشدياق، «غورو» المسيح الثاني جورج كيوان ... واحد آخر لصق صورة ولم نحفظ اسمه من المرشحين رسمياً؟ فلننتخبه الآن وفوراً. وليتحمل من انتخبه مسؤولية أنه المنقذ، أمام الناس والتاريخ، عشية كتابة آخر تاريخ لمن تبقى من ناس. لا وقت نضيعه. في هذه المسألة البطريرك معه كل الحق!

ما قل ودل

باشر النائب وليد جنبلاط سلسلة اتصالات ولقاءات مع مقربين منه من فاعليات قرى إقليم الخروب، وذلك في سياق برنامجه الخاص بالتحذير من خطر «داعش». وعلى الرغم من وجود تجاوب أهلي مع خطابه، إلا أن هناك تردداً من تنظيم جولة له في قرى الإقليم خشية أن تؤدي الى صدامات مع مناصرين للجماعة الإسلامية وبعض التيارات السلفية المناصرة للمعارضة السورية المسلحة.

علم وخبر

«لبنان والمهجر» وأميركا

كشفت مصادر مصرفية مطّلعة عن وجود ملف يتضمن عدد غير قليل من الحسابات المصرفية التي تخص مواطنين سوريين، قد تم إطلاع السلطات الأميركية عليها من قبل بنك لبنان والمهجر، بعد لقاءات جمعت أبرز أصحابه مع مسؤولين غربيين ناقشوا معه احتمال أن يلعب دوراً في المستقبل في السلطة السورية الجديدة. ونفت مصادر المصرف المركزي أن تكون قد أصدرت أي مذكرة تلزم المصرف المذكور بأي إجراءات خاصة ورفضت المصادر التعليق على خبر إقفال المصرف نفسه لعدد من حسابات تعود لأشخاص، تقول الولايات المتحدة الأميركية إنهم من حزب الله.

النازحون السوريون... جنوباً

سجل في أكثر من بلدة في منطقة صور وجود شعارات تهاجم الرئيس السوري بشار الأسد والسيد حسن نصر الله. وقالت جهات أمنية إن الفاعلين هم من النازحين السوريين. وجرت اتصالات لاحتواء ردود الفعل، مع الإشارة الى أن إحصاءات جمعيات تعنى بالإغاثة تفيد عن إقبال كثيف من النازحين المعارضين علانية للنظام السوري. وتقول مفوضية اللاجئين في الأمم المتحدة إن عدد النازحين المسجلين جنوباً يفوق 136 ألفاً حتى الأسبوع الثالث من الشهر الجاري.